خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١١ من شعبان ١٤٣٦ هـ / ٢٩ من أيار ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

معاشر السادة: ليس محمدٌ ﷺ أول نبي حارب ولا آخر مصلح اضطر أن يحمل السلاح، وقد رأينا من استعراض الرسالات الأولى أنّ أكثرها ذهب ضحية الكيد الخبيث والمكر السيء، وما دامت طبيعة الحياة لا تَخلو من مُبغضين للحق ومُعوقين لسيره، فإنه لا يُستغرب من أصحاب الحق أن يَضعوا تجارب الماضي الطويل نُصب أعينهم، وأن يَتأهبوا لكفاح مُرٍّ ضِدَّ أعداءه، وليس العيب أن تكون مدججاً بالسلاح، وإنما العيب أن تسطو بسلاحك على الوادعين أو تُروِّع به الآمنين.

إن البشر لما كانوا بضعة إخوة وقف أحدهما في طريق الآخر مُبارزاً بالعداوة مُستحلاً للدم، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وما لبث هذا التهديد إلى أن استحال إلى جريمة نكراء، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَه﴾ [المائدة: ٣٠] فإذا نسل الأخ القاتل ألوفاً من السفاحين المتعطشين إلى الجريمة، فهل يَنتظر العباد الذين تقبل الله قُربانهم وزكى أفئدتهم أن يُقادوا إلى المجازر قود الخراف الضيعة لا يَدفعون بأساً ولا يَردون عدواً، هذه هي الحماقة، والاستخفاف بالسلم في هذه الحالة خطوة إلى الفناء ورضى بالذبح، ذلك منطق الواقع، وقد تمشى معه فرض القتال على المظلومين المستضعفين، حيث قال سبحانه: ﴿أُذِنَ

لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] فهذه الآية ناطقة بأن المؤمنين هم الذين ظلموا وقوتلوا وأخرجوا من بيوتهم، وأن هذا الهجوم الواقع بهم لا علة له إلا أنهم مؤمنون، فهل يَسكتون على الضيم؟ إن نِهاية هذا السكوت دَمار لهم ولِرسالتهم، إنها حربٌ حقاً أذن الله بها سياجاً الهدى وصيانة لمعالمه، لم تُشعلها مآرب النفوس، ولكن فرضتها دواعي الغضب لله ﷻ، فالقتال شُرع في الإسلام لدفع البغي وكسر شوكة المعتدين.

هناك رجال يَستشهدون في الدعوة إلى الله ومحاربة الفتنة ويَحوطون غرس الإيمان في هذه الدنيا بسياج من عِظامهم ودمائهم، وهناك أَبطال جَاهدوا الظلم طوال حياتهم وخَطّوا بأنفسهم مصارع الجبارين وحَفروا بأيديهم قُبور المتجبرين ولم يَدع لهم هذا الجهاد المتواصل فُرصة يَستريحون فيها ساعة من نهار، وهُناك رجالٌ وَرَّثوا أولادهم الوطن محرراً والعدل مقرراً، والدنيا مُقبلة لا مدبرة والمستقبل باسماً لا غائماً، ربَّ حاصدٍ لزارعٍ في هذه الحياة، وعندما يُمعن المرء النظر في أحداث التاريخ يروعه مقدار ما يترك السابقون للاحقين، وما يجني الأخلاف من أعمال الأسلاف يستوي في ذلك الخير والشر والماديات والمعنويات، ويَبدو أن الإنسان يُولد وهو يَحمل أثقالاً من تبعات آباءه، كما يُولد ليقتطف الكثير من ثمار جهودهم ونتائج عملهم، تلك طبيعة الحياة فرضت على الناس فرضاً، وليس كل من زرع بنفسه حصد بنفسه، ولكن سنة الوجود على غير ما نهوى.

إن الرجل صاحب المبدأ إذا نزل به الضيم لم يَعرف لنفسه عمل إلا مُدافعة هذا الضيم بكافة ما بيده من وسائل، لا يُباهي أَتُجدي هذه الوسائل أم لا تجدي، أينتصر بعدها أم يهزم، أيقول الناس عنه عاقل أو متهور، فَهو إما أن يَحيا كما يشاء أو لا، فالموت مُستقر حسن لمن فاته في الدنيا المستقر الحسن، ويُمثل نفسية هؤلاء الرجال قول الشاعر سعد بن ناشد عندما قال:

إذا هَمَّ لم تُردع عزيمة همه ولم يأتي ما يأتي من الأمر غائباً
إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمه ونَكَّبَ عن فكر العواقد جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يَرض إلا قائم السيف صاحباً

ما أحوج الأمة –يا سادة– إلى أمثال هؤلاء الرجال الذين يَحيون بالمبادئ وحدها، وتأوي الفضائل العليا من نفوسهم إلى ركن شديد، في أقطار كثيرة تُهدر حقوق العرب والمسلمين وترخص دماؤهم، فإذا أبدوا مقاومةً ضد المغيرين عليهم ارتفعت صيحات معروفة: العرب معتدون، المسلمون إرهابيون، وأعطيت الإشارة إلى الأسلحة المتطورة أن تصب حممها على المدافعين عن حقوقهم وأوطانهم، ويبدو أن حبلها هذا الإثم لا ينقطع، وقد وزعت أدوار هذه الأكذوبة الكبرى على أطراف شتى بين أناس متبيني وصحفيين وتجار سلاح وساسة خبثاء وأتباع حمقى، فأينا الإرهابي، نحن أم الغرب؟.

يُوافق هذا اليوم في الذكرى العدوان الفرنسي على سورية.

يا سادة: إن الناظر إلى أقطار الغرب قد تخدعه مظاهر المدنية التي بلغتها، وقد يظن أن نظافة القوم في وجوههم وملابسهم فيضٌ من نظافة ضمائرهم وأرواحهم، وهذا خطأ شديد ووهم بعيد، إن الأوربيين يملكون الآن وسائل شتى لإخفاء فضائحهم، وسيطرتهم على العالم تمكنهم من ارتكاب أبشع الجرائم فيه، ثم تفرض الرقابة على الإعلام، فلا يدري الناس شيئاً عن الركن البائس من أركان الدينا التي بطش الأوربيون به وأحلوا مَقتهم بأهله، في كل مكان على ظهر الأرض دنسته أقدام فرنسا، هل تَعلم –أيها العربي، أيها المسلم– هل تعلم أن جزيرة مدغشقر ثارت بعد الحرب العالمين الثانية تطلب حقوقها، فكان جزاء المطالبين أن تحركت القوات الفرنسية، وقتلت من الأهلين ثماني ألف نسمة في ضربة واحدة، وبعدها استأنف الفرنسيون حَمل مِشعل الحضارة مع غيرهم من مُؤسسي هيئة الأمم المتحدة، وفي عام ألفٍ وسبعمائة وثمانية وتسعين أَطلقت فرنسا مَدافعها على القاهرة من طلعة الجبل، وداست سنابك خيلها أرض الأزهر الشريف، وفي عام ألف وتسعمئة وأحدى وأربعين ضربت فرنسا مدينة دمشق بالمدافع، نعم ماذا حدث بعد ذلك؟ عندما اجتاحت فرنسا –دعونا نعود إلى التاريخ قليلاً إلى الوراء– عندما اجتاحت فرنسا الجزائر دمرت إحدى وأربعين قرية على من فيها من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، حتى أن مندوب جريدة "لبرك" قال: لقد رأينا في أحد المناظر رضيعاً ملوثاً بالدماء، يَبحث عن ثدي أمه المقطوعة الرأس، دون أن يَهتدي المسكين إلى الثدي، ودون أن تستجيب الفريسة لصراخ ابنها، حتى أن صحيفة "فرانس أوبتر فاتور": نشرت في عددها ثلاثمئة وثمانية وأربعين رسالةً من مراسلها في الجزائر، يتحدث فيها عن حالة التوتر الفظيعة التي تعيش فيها المدن والقرى والناس، وعن الحصار الخانق الذي أباد الكثيرين، وقد تحركت بعض الضمائر في فرنسا تستنكر هذه الوحشية في معاملة الجزائريين، ومِن بين هؤلاء الكتاب

الفرنسيين الذين حَاربوا مَظالم قومهم وناشدوهم الإنصاف وتجفيف المآقِ الدامية الأديبان كولن وفرانس جمسون، حيث فضح هذان الكاتبان بعض الجرائم التي قام بها بعض الجنود الفرنسيون، فقد جاء في أحد التقارير الرسمية مقال يقول: بناء على تعليمات الجنرال "روفيثو" خرجت قوة من الجنود في مدينة الجزائر ليلة السادس من أبريل سنة ألف وثمانمائة واثنين وثلاثين وانقضت قبيل الفجر على أفراد القبيلة وهم نيامٌ تحت خيامهم فبغتتهم جميعاً دون أن يستطيع أحد منهم الدفاع عن نفسه، وقد لقي الجميع حتفهم بين طفل وامرأة، دون تمييز بين طفل وامرأة ولا شيخ كبير، وبعد هذه الحملة عاد الفرنسيون وهم يرفعون رؤوس القتلى على أسنة رماحهم، حتى أن القائد الفرنسي وصف الجرائم بقوله: إنها فظائع لا مثيل لها.

هذا الغرب، وهذه هي سياسته، وهذه هي حريته، وهذه هي ديمقراطيته الذي يريد أن يصدرها إلى العالم بأسره، ولا سيما في سورية في هذا الوطن الحبيب، أريد أن أسأل أوباما: أترضى أن تكون في بلادك ما يُسمى بالمعارضة المعتدلة كما سميتها أنت، والبيت الأبيض والصهاينة، أرتضى أن يكون في بلادك ما يسمى بالمعارضة المعتدلة، يَقتلون ويَحرقون ويُدمرون البنى التحتية في بلادكم، ويُدمرون الآثار ويَحرقون الحضارة على الرغم أنه لا حضارة عندكم ولا آثار ولا تاريخ، حتى أنكم والله لا تعرفون الوطنية ولا قيمة الأوطان، لأنكم غُرباء جئتم إلى هذه الأرض؟ حتماً ستقول لا، فلماذا ترضى إذاً أن يكون هناك معارضة معتدلة في بلادنا تحرق وتقتل وتدمر، خدمة لكم ولقزمكم إسرائيل، لماذا؟ إننا نقول لكم من دمشق، من شعب الأسود ومن عرين الأسود، أنكم مهما فعلتم، مهما جيشتم، مهما حرضتم، مهما دعمتم، مهما مولتم، لم تستطيعوا أبداً بإذن الله ﷻ أن تسقطوا راية هذا الوطن، لماذا لأننا نؤمن أولاً بالله ﷻ، لأن الله علمنا في كتابه والتاريخ علمنا أن صاحب الحق ينتصر ولو بعد حين، وثانياً عندنا قائد مقاوم يقول هيهات منا الذلة، وثالثاً عندنا جيش عقائدي، ورابعاً عندنا مقاومة لبنانية نعتز بها وبرجالها الأشاوس، ونُقبل أقدام هؤلاء الرجال، نعم نُقبل أقدام الرجال في المقاومة اللبنانية الشريفة، نُقبل أقدام الرجال في الجيش العربي السوري، المقاومة اللبنانية من أراد أن يتطاول عليها فليرجع إلى تاريخه القذر والحقر أولاً، ثم يتكلم بعد ذلك على المقاومة، المقاومة اللبنانية حَررت الجنوب، المقاومة اللبنانية زلزلت كيان بني صهيون، المقاومة اللبنانية هي شوكة في حلق بني صهيون، أما الذين يقولون شيعة وأرفاض ونصيرية، أرونا –أيها القذرة– ماذا قدمتم للإسلام والعروبة، أرونا –أيها القذرة– ماذا عملتم لهذه الأمة، تعلنون الجهاد على سورية، ماذا فعلت سورية؟ لأنها قلب العروبة النابض!. تعلنون حرق اليمن، ماذا عملت اليمن؟ لأنه

شعب عربي صامد!. أحرقتم عراقنا الحبيب، ماذا فعل لكم العراق؟ أحرقتم اليمن بعدها، أحرقتم ليبيا بعدها، ماذا فعل الليبيون لكم، تَحرقون الوطن العربي بلداً بلداً وقطراً قطراً تحت مُسمى شيعة وروافض ونصيرية؟ أنتم من تكونون، أنتم صهاينة، إذا لم تكونوا تعلمون أنكم صَهاينة اعلموا أنكم صهاينة، أُعطيك الدليل؟ أنا أعطيك الدليل أنكم صهاينة، في سورة المائدة قال جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم﴾ [المائدة: ٥١] مَن يتول اليهود فإنه منهم، هذا هو الدليل، فكل مَن يُقاتل في البلاد العربية يَحرقها يدمرها يُبيد آثارها وحضارتها ومجدها ويَقتل علماؤها فهو صهيوني بحتٌ، وإن ادعى بأنه عربي وإن ادعى بأنه مسلم.

أيها السوريون: نحن اليوم في ظل هذه الظروف العصيبة التي يَمر بها وطننا الحبيب لا نَزداد إلا عطاء، لا نزداد إلا صموداً، لا نزداد إلا تضحية، وأنا أعدكم بإذن الله جل جلاله سَيَستعيد الجيش العربي السوري إدلب وجسر الشغور ومدينة تدمر والغوطة الشرقية، وكل بقعة في أرض هذا الوطن بالأيام والشهور القليلة الماضية، تحية إلى المقاومة اللبناينة، تحية إلى أسدها حسن نصر الله، هذا الرجل الذي يحب الله ورسوله، والذي يُحب آل البيت الكرام، عندما قال: نحن سنُوجد في أي مكان وفي أي أرض من سورية، عندما يتطلب الأمر منا ذلك، فنحن أهلها ورجالها. والله أنتم أهلها ورجالها، وجيشنا العربي السوري أهلها ورجالها.

معاشر السادة: رسالتي إلى السوريين، نحن إذا كنا نؤمن بالله جل جلاله علينا أن لا نَنهار أبداً، ولا شيء على الإطلاق يدعو إلى الانهيار، إلى تحبيط العزائم والمعنويات، اقروؤا في تاريخيا –يا سادة– عندما ملأت الفرنجة أركان الأرض كان عددهم كعدد الرمال، كما يقول المؤرخون، وكانت أوربا تدعم العصبات الإجرامية في كل مكان، والأمة تفرقت وتشرذمت حتى ظن المسلمون آنذاك أنه لن تقوم قائمة للدين ولن تقوم قائمة للعرب والمسلمين، وهيأ الله نور الدين الزنكي، وماذا حدث بعدها؟ عادت الأمور إلى مجاريها، وهيأ الله بعدها القائد الناصر صلاح الدين، نحن في رحابه الطيب الآن، ووحد مصر والشام، وبعدها بعد هذا التوحيد أعاد لنا المسجد الأقصى المبارك، ونحن لا نخشى على فلسطين على الإطلاق، لا نخشى على أقصانا على الإطلاق ما دام الحجر في يد الطفل يقول للصهيوني: ارحل أيها الضبع، ارحل أيها الغريب من أرضي، هنا وطني هنا بلدي، ارحلوا أيها الغرباء، لا مكان لكم هنا في فلسطين، وما زالت المقاومة الفلسطينية في كافة فصائلها تَقف صفاً واحداً في مواجهة العدو الأول بني صهيون، لا نخشى

أبداً على قضية فلسطين، لا نخشى أبداً على سورية، لا نخشى أبداً على اليمن، لا نخشى أبداً على ليبيا، والحق سينتصر ولو بعد حين.

قولوا أيها السوريون: إنا هنا نحن هنا باقون، ومهما قتلتم أيها الداعشيون أيها التكفيريون، ومهما قطعتم من رؤوسنا والله لن تزيدونا إلا عزيمة وصلابة وقوة وإرادة، فنحن نؤمن بالله أولاً، ونؤمن بحقوقنا وقضيتنا ثانياً، ونؤمن بقول الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عندما قال: ((غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت)).

الخطـــــبة الثانيــة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والأمان والاستقرار إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، وأن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم إنا نسألك أن تنصر المقاومة اللبنانية، اللهم إنا نسألك أن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده لما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، وأعد اللهم الأمن والاستقرار إلى ربوع فلسطين الحبيبة فلسطين الجريحة، وانصرهم على بني صهيون فإنك خير من سُئِل وخير من أجاب، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق